

دلائل الإعجاز

جعل الألفاظَ الأصولَ في النظمِ وجعلَه يَتَوَخَّسُ فيها أنفَسَها وتركَ أن يفكِّرَ في الذي بيَّنَّاه من أن النظمَ هو توخُّسٌ في معاني النحو في معاني الكلم وأن توخُّسَها في متونِ الألفاظِ محالٌ . فلما جعلَ هذا في نفسِه ونَسَبَ هذا الاعتقادُ به خرجَ له من ذلك أن الحاكي إذا أدَّسَ أَلْفَاظَ الشعرِ على الذِّسْقِ الذي سَمِعَها عليه كان قد حَكى نظمَ الشاعرِ كما حكى لفظه . وهذه شُبُهَةٌ قد ملكت قلوبَ الناسِ وعشَّشتُ في صُدُورِهِم وتشرَّرتْ بها نفوسُهُم حتى إنكَ لترى كثيرا منهم وهو من حلولِها عندهم محلُّ العلمِ الضروري بحيثُ إنَّ أواماتٍ له إلى شيءٍ مما ذكرناه اشْمَأَزَّ لك وسَكَّ سمعَه دونَكَ وأظهرَ التعجبَ منك وتلك جريرةٌ تركُ النظرَ وأخذَ الشيءَ من غيرِ معدنِه . ومن [التوفيق .

فصل في ضرورة ترتيب الكلام ونسبته إلى صاحبه .

اعلمُ أنَّا إذا أضفنا الشعرَ أو غيرَ الشعرِ من ضروبِ الكلامِ إلى قائِلِه لم تكن إضافةٌ له من حيثُ هو كَلِمٌ وأوضاعٌ لغةٍ ولكنَّ من حيثُ تَوَخَّسَ فيها النظمُ الذي بيَّنَّاه أنه عبارةٌ عن تَوَخُّسٍ في معاني النحو في معاني الكلم وذاك أنَّ من شأنِ الإضافةِ الاختصاصَ فهي تتناولُ الشيءَ من الجهة التي تختصُّ منها بالمضافِ إليه . فإذا قلتُ : غلامٌ زيدا تناولت الإضافةَ للغلامِ من الجهة التي يختصُّ منها بزيدا وهو كونه مملوكاً . وإذا كان الأمرُ كذلكُ فينبغي لنا أن ننظرَ في الجهة التي يختصُّ منها الشعرُ بقائله . وإذا نَظَرْنَا وجدناه يختصُّ به من جهةِ توخُّسِيه في معاني الكلامِ التي أَلَسَّفه منها ما توخَّسَاه من معاني النحو . ورأينا أنفسَ الكلامِ بمعزلٍ عن الاختصاصِ ورأينا حالِها معها حالَ الإبريسمِ مع الذي يُنْسَجُ منه الدِّيباجُ وحالُ الفضةِ والذهبِ مع من يصوغُ منهما الحُلِّيَّ . فما لا يشتههُ الأمرُ في أنَّ الديباجَ لا يختصُّ بناسِجِه من حيثُ الإبريسمُ والحُلِّيُّ بصائغِها من حيثُ الفضةُ والذهبُ ولكن من جهةِ العملِ والصنعةِ كذلكُ ينبغي أن لا يشتهبَه أنَّ الشعرَ لا يختصُّ بقائله من جهةِ أنفسِ